Print ISSN: 2008 - 7217
Online ISSN: 2383 - 2681
Journal of Arabic Language & Literature
www.jall.um.ac.ir

Journal of Arabic Language & Literature, Vol. 16, No.3 Serial Number. 38

Religious Symbols in the Poems of Abd Al-Muttalib Al-Hilli

Doi: 10.22067/jallv16.i3. 2303-1245

Ali Saki
Department of Arabic Language and Literature, Arv.C., Islamic Azad University, Abadan, Iran

Mohammad Javad Esmail Ghanemy[1]
Department of Arabic Language and Literature, Arv.C., Islamic Azad University, Abadan, Iran

Sohad Jaderi
Department of Arabic Language and Literature, Arv.C, Islamic Azad University, Abadan, Iran

Received: 23 July 2024 ▌Received in revised form: 30 September 2024 ▌Accepted: 16 March 2024

Abstract

The symbol, in its various rhetorical and expressive uses, is a significant tool for expressing the poet's intellectual positions and conveying emotions. A committed poet, when using allusive expressions and ironic terms to introduce his beloved characters and places instead of directly stating them, usually employs these expressions to enrich his poetic text. Such characters and places hold a special place in the poet's heart. From this standpoint, the committed poet Seyyed Abd Al-Muttalib Al-Hilli extensively uses religious symbols to express his intentions, including the character of Imam Hussein (peace be upon him), his family, and the religious figures of his time. The characters and sacred places represent great historical events, such as Ahl al-Bayt, the incident of Karbala, and Madinah al-Munawwarah. In this context, some symbols are clear and direct, while others are allusions, expressed through the use of nicknames, titles, and special traits.In analyzing this poet's works, we find prominent religious symbols such as Bani Al-Huda (Children of the Prophecy), Sibat Muhammad (Grandson of the Holy Prophet), Karbala, Al-Razi (The Infant), Haram Allah (God's Sanctuary), Banat Al-Mustafa (Daughters of the Prophet), Asad Allah (Lion of God), Hulum al-Nabal (Bayonets), Rabbah Khedr (The Hijab Cultivator), Rabbah Kour (Captive on top of Kajaveh), members Al-Nubuwwa (Figures of Prophecy), Hami al-Haqiqa (Guardian of the Truth), Kashshaf al-Mulimmat (Solver of Problems), Bassam al-Ashiyyat (The Broad-faced), Aba Salih, Rukn al-Din (The Pillar of Religion), Kafiil al-Aytam (Guardian of the Orphans). These symbols, with their historical and religious connotations, enhance the evocative power of the poems. The characters and sacred places referred to in the verses strongly influence the poet's thoughts, language, and emotions, which in turn have a direct impact on the reader and listener.This article aims to explore the religious symbols in Abd Al-Muttalib Al-Hilli's poems, focusing on religious figures and sacred places. Using a descriptive-analytical method, we examine the verses that refer to these symbols and analyze the meanings they convey.Some findings suggest that the poet effectively uses symbolism and irony in expressing religious symbols. The characters and places referenced often symbolize resistance, steadfastness, and the struggle against oppression.

Keywords: Religious figures, holy places, religious symbols, Imam Hussein (peace be upon him), Abd Al-Muttalib Al-Hilli

[1]. Corresponding Author, Email: MJ.Esmail@iau.ac.ir

اللّغة العربية وآدابها (الفصلية العلمية المحكمة)
www.jall.um.ac.ir
الترقيم الدولي الموحد للطباعة: 7217 – 2008
الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: 2681 – 2383

اللّغة العربية وآدابها، السنة السادسة عشرة، العدد ٣ (الرقم المسلسل ٣٨)، خريف ١٤٤٦، صص:٧٣-٥٥

الرموز الدينية في أشعار عبدالمطلب الحلي

(المقالة المحكمة)

على ساكي (قسم اللغة العربية وآدابها، فرع أروند الدولي، جامعة آزاد الإسلامية، آبادان، إيران)
محمدجواد اسماعيل غانمي (استاذ مساعدقسماللغة العربية وآدابها، فرعأروند الدولي،جامعة آزادالإسلامية، آبادان، إيران، الكاتب المسؤول)[1]
سهاد جادري (استاذة مساعدة قسم اللغة العربية وآدابها، فرع أروند الدولي، جامعة آزاد الإسلامية، آبادان، إيران)

Doi: 10.22067/jallv16.i3. 2303-1245

الملخّص

يُوظَّفُ الرمزُ بمستوياته المختلفة في البيان، لأغراض بلاغية ودلالية، ويعتبر أداة مفيدة للتعبير عن المواقف الفكرية والمشاعر والأحاسيس وتصوير ما يرنو إليه الشاعر من مقاصد تعبيرية، وقد يساهم هذا الفن التعبيري في خصوبة النص وإثرائه، عندئذ يلجأ الشاعر الملتزم إلى توظيف الرموز في أشعاره لبيان الزوايا المتعددة في الأشخاص المحبَبِين عنده، استشعاراً بعظمتهم، وتذكرياً لمناقبهم وما حَلَّ بهم. من هذا المنطلق، وظَّفَ الشاعرُ السيد عبدالمطلب الحلي العديد من الرموز الدينية، معبراً من خلالها عن شخصية الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الأطهار، والشخصيات الدينية في عصره،كذلك الأماكن المقدسةكالمدينة المنورة وكربلاء والطف، فقد جاءت في هذا المجال إشارات مباشرة وتارة إشارات غير مباشرة أتت على شكل الكناية والرمز من خلال توظيف الكنى والألقاب والصفات والنعوت. من خلال البحث والتحري في قصائد الشاعر وجدنا في معجمه الشعري أهمَّ و أبرزَ الرموزِ الدينية وهي: بَني الهدُى، سِبط محمد، كربلاء، الطف، الرضيع، حَرَمُ اللهِ، بَناتُ المُصطَفى، أسَدَ اللهِ، حُلُمُ النَّبلِ، رَبَّةِ خِدرٍ، رَبَّةَ كورٍ، أعضاءَ النبوَّةِ، حَامِي الحقيقةِ، كشّافَ الملماتِ، بسَّامَ العَشيات، أبا صالحٍ، رُكنُ الدّينِ، كافِلُ الأيتامِ. هذه المفردات والعبارات الرمزية بما تحمله من دلالات وإشارات، تنمّي القدرة الإيحائية للقصيدة؛ لأن الشخصيات المستدعاة والأماكن المقدسة، غالبا ما يكون لها في الذهن والوجدان إيحاءات دلالية وعاطفية تفرض على القارئ نوعاً من التماهي مَعها. يتناول هذا المقال، الكشف عن الرموز الدينية الواردة في أشعار عبدالمطلب من شخصيات وأماكن مقدسة. وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي والتحليلي، وقمنا باستقراء الأبيات التي تدلُّ على الرموز الدينية، ذاكرين حقولها الدلالية. بعض النتائج تشير إلى أن الشاعر عبدالمطلب الحلي في ترميزه الديني وخاصة أهل البيت عليهم السلام ورجال الدين وجد طاقات إيحائية خصبة وغنية للتعبير عن مشاعره وأفكاره. والشخصيات الدينية والأماكن المقدسة التي رمز إليها الشاعر تَدلُّ في ذاتها على الرفض والصمود والتحدي والنضال ومكافحة الظلم والطغيان.

الكلمات الدليلية: الشخصيات الدينية، الأماكن المقدسة، رموز دينية، الإمام الحسين عليه السلام، عبدالمطلب الحلي.

تاريخ الوصول: ١٤٠٣/٥/٢ تاريخ المراجعة:١٤٠٣/٧/٩ تاريخ القبول:١٤٠٣/١٢/٢٦

[1] البريد الإلكتروني للكاتب المسؤول: MJ.Esmail@iau.ac.ir

١ـ المقدمة

يعتبر الرمز أحد الأدوات البلاغية للتعبيير عن المعاني الكامنة ويأتي تعبيراً غير صريح لبيان المراد وهو أحد فروع الكناية. ويعمدُ الأديب من خلال هذه التقنية إلى توظيف إيحاء الكلمات ليوقع القارئ في دائرة الشعور الذي يجب أن يوصله إليه. فعندما ندرسُ قصائد الشاعر السيد عبدالمطلب الحلي، نجد في نصوصه الشعرية مسحةَ الرموز الدينية بيّنةً في ذكر الحوادث والكوارث التي مرّت على أهل البيت عليهم السلام وخاصة حادثة كربلاء وهذا التعبير مشحون بكثافة تصويرية بديعة ومتنوعة، وعندما نقرأ قصائده الطوال ترتسم في مخيلتنا مشاهد وصور مفعمة بالحزن والألم، تعكس القيم الدّينية أو الخلقية والعاطفية.

استطاع الشاعرُ بشاعريته الفذّة القوية، وبلاغته الأصيلة، وقدرته الباهرة أن يبرز في مقدمة الفحول من الشعراء المعاصرين، لاسيما في الرثاء والبكاء على أهل البيت والإمام الحسين عليهم السلام، وإن كان مَنسيَّاً في كتب تاريخ الأدب؛ لكن جاء ذكرُه ونماذجَ من شعره في كتب الشيعة من أمثال أدب الطف، وشعراء الحلّة، والطليعة لشعراء الشّيعة. فقصائده في الرثاء مليئة بالمشاعر الجياشة، وجدير بالذكر أنّ قصائده في رثاء الحسين (عليه السلام) مثال كامل احتذاه الشعراء من بعده لبيان مظلومية أهل البيت عليهم السلام وفاجعتهم بمقتل الإمام الحسين عليه السلام.

وقد تَجلَّى الرمز الديني لهذا الشاعر في مواقفه الدّينية والمذهبية، ومُعظمُ هذه الاتجاهات كان في رثائه لأهل البيت عليهم السلام عامة والإمام الحسين عليه السلام خاصة، ذاكراً ما حدث له ولأهل بيته وأصحابه يوم الطف في أرض كربلاء، حيث البطولات والتّضحية والفداء ومن ثَمَّ الآهات والويلات لأسرته والسبايا.

١ ـ ١. خلفية البحث

من خلال البحث والتّحرّي في كتب الأدب والمواقع الإلكترونية لم نجد بحثا أو دراسةً مستقلةً موسّعة لهذا الشّاعر، ما عدا مقالة واحدة لا تستغرق ثماني صفحات دون النشر تحت عنوان: «طرابلس الصّامدة، للسيد عبدالمطلب الحليﻱ مجله: الموسم» السّنة ١٤٠٩ - العدد ٦ (٨ صفحه - من ٤٠٢ الى ٤٠٩). وحول رمزية أهل البيت وجدنا مقالة بعنوان رمزيه اهل البيت عليهم السلام واستدعاءهم فى أشعار نزار قبانى لرسول بلاوي وآخرين (١٣٩٢) نوه فيها الباحث إلى أهمية ظاهرة الرمز في الأدب العربي وخاصة في بيان مناقب أهل البيت عليهم السلام واستدعاء التراث الديني.

١ ـ ٢. أسئلة البحث:

نظراً للموضوع والمحتوى فقد ابتُني البحثُ على الأسئلة التالية:

ـ كيف ظهرت الرموز الدّينية في أشعار السّيد عبدالمطلب الحلي؟

ـ ما هي أهمُّ الأغراض الَّتي من أجلِها تكوّنَ الرمز الدّيني لدى السّيد عبدالمطلب الحلي؟

ـ ما هي أبرزُ الشخصياتِ التي عَمِد الحلي لاستدعاءها في قصائده؟

ـ ما هي أسبابُ ومبرراتُ لجوء الشاعر إلى توظيف أهل البيت عليهم السلام؟

ـ ما هي الدلالات التي يحملها هذا التوظيف في شعره؟

١ ـ ٣. فرضيات البحث

ـ تجلَّت الرموز الدّينية والمذهبية في أشعار السّيد عبدالمطلب الحلي من خلال تبيين مناقب أهل البيت عليهم السلام والشخصيات الدينية والكوارث التي حلّت بهم.

ـ من أهمِّ الأغراض الَّتي من أجلها تكون الرمز الدّيني والمذهبي لدى الشاعر هي المحبة والولاء لأهل البيت عليهم السلام ورجال الدين الذين مارسوا الجهاد والاجتهاد.

ـ من أبرز الشخصيات الدينية التي رمز إليها الشاعر في قصائده، هم أهل البيت عليهم السلام كشخصية الإمام الحسين عليه السلام، والطفل الرضيع، حرائر أهل البيت و الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف وبعض رجال الدين في عصره كالآخوند الخراساني.

ـ لقد وجد الشاعر في رمزية أهل البيت والشخصيات الدينية طاقات إيحائية خصبة وغنية للتعبير عن مشاعره وأفكاره.

ـ الدلالات التي يحملها توظيف الرمز هي الرفض والصمود والتحدي والنضال ومكافحة الظلم والطغيان والاستشهاد.

٢ـ الشّاعر عبدالمطلب الحلي

هكذا جاء التعريف بالشاعر في الكتب الأدبية والدينية: «هو أبومناف السّيد عبدالمطلب بن داود بن المهدي بن داود بن السّيد سليمان الكبير الحلي، شاعر في العهد العثماني وهو أديب جريء وثائر بليغ. ولد بالحلة عام ١٢٨٢هـ. ونشأ بها على أبيه، فعنى بتربيته ولازم عمّه السّيد حيدر ملازمة الظل للشاخص. فأدَّبه وثقّفه وأطّلعه على كثير من أسرار الأدب العربي بعد أن درس المقدمات على أساتذة بلده فكان لعنايته به أبلغ الأثر في خلقه واستوائه» (الخاقاني، ١٩٥٢: ٣، ١٩٦).

نظّم السيد عبدالمطلب الحلي الشّعر مبكراً، متأثراً بندوة عمّه أو بالأحرى بـ (مدرسته) التي كانت محط رحال أدباء عصره، وبعد وفاة عمّه أتجه إلى الإنشغال بالزّراعه والتّزم الأراضي الأميريه فاتَّسعت أدارته المادّية وحصل على أرباح طائله غير أن الظروف القاسية عادت عليه، فأذهبت كل ثروته الطائله بالمحل الذّي انتاب تلك الأراضي وانعدام المياه الَّتي كانت تُحي معظم أراضيه، فبقي يعتزُّ بكرامته ورجولته ومكانته من النفوس وتقديس الزّعماء والرّؤساء لشخصه يتقربون إلى ذاته ويستميلونه بشتى انواع الاستمالة لربح أدبه وبنات أفكاره التّي غلت على أمثالهم (راجع:الخاقاني، ١٩٥٢: ٣، ١٩٦).

٢ ـ ١ـ الرموز الدينية في رثاء الإمام الحسين عليه السلام

الرّثاء فن أصيل يُعدُّ من أسبق الفنون وأصدقها على لسان الشّعراء؛ لأنه تعبير صادق عن النفس الإنسانية؛ تعبير عن لهفة اللقاء ولوعة الفراق، فهو نابع من أعماق النفس ومعبر عن لحظات الفراق، متجهاً إلى القلوب قبل العقول؛ ليجسد الانفعالات الوجدانية والإنسانية.

إنَّ الشاعر عبدالمطلب الحلي ليس هو الأول ولا الآخر من يرثي اهل البيت عامة والإمام الحسينعليه السلام خاصه في واقعة الطف، كما نرى شعراء القدامى كمثل الشريف الرضي، ودعبل الخزاعي في مقاله تحت عنوان «الولاء والبراء» بين الرضي ودعبل الخزاعي حول بحث التولّي والتبرّي فهي جزء من الأصول الإعتقادية الشيعية (حسيني، ١٤٠٠، ٤) وايضاً شعراء كثيرون يرثون اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم خاصه الامام الحسين عليه السلام كما تتجلى في أشعار الشاعر ديک الجن، فهو شاعر مظلوم لاهل البيت ومعروف في شجاعته وحدّة لسانه امام الطغاة العباسيين في نصرة آل الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم، فله قصائد كثيرة لأهل البيت وواقعة عاشوراء، كذلک فضائل اهل البيت المأخوذة من الحديث والسنة النبويّة (عبدالهي، ١٣٨٨، ١٠٩ ـ ١١٤).

فقد رثى الإمام الحسين عليه السلام بأشعار كلها حرقة وتألم، فيقول:

مَـــرّت بقلـــبي ذكـــرياتُ بَـــني الهـــدى فَنَســـيتُ منهـــا الـــرَوحَ والتَهويمـــا

وَنَظَـــرتُ سِـــبطَ محمـــدٍ في كـــربلا فـــرداً يعـــاني حُزنَـــهُ المكظُومـــا

تَنحُـــو أضـــالِعَهُ سُـــيوفُ أُميـــةَ، فـــتراهم الصمّصـــومُ فالصمصـــؤما

فَالجِســـمُ أضـــحَى في الصَّـــعيدِ مُوزَّعـــاً، والـــرَّأسُ أمسَـــى فِي الصِّـــعادِ كريمـــا

(الحمصي، ١٩٩٤: ١٤٤)

رمز الشاعر بعبارة «بَني الهدى» إلى أهل البيت عليهم السلام لأنهم هم أصحاب الرسالة السماوية ورمز إلى شخصية الإمام الحسين‌عليه السلام بعبارة «سبط محمد» صلى الله عليه وآله وسلم ورمز إلى الجنود في كربلاء بعبارة «سيوف بني أمية» حيث كانوا يمثلون تلك الفئة الباغية، ورمز بالصعاد إلى المكان المرتفع ويعني بذلك رفع الرأس على الرماح، فيقول: لقد مرَّت خواطرُ أهل البيت عليهم السلامُ ببالي وقد سلبت مني الراحة والنوم، ومن خلال هذه الخواطر نظرت إلى سبط الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عليه وآله وسَلَّم، وهو وحيداً فريداً يعاني من الحزن الذي لا يستطيع أن يبوح به؛ فكان كاظماً لذلك الحزن. يُعاني وقد توجهت نحوَ صَدرِه سيوفُ بني أمية وقد غارت الخيلُ على صدره الطاهر، فبقي جسدُه الشريف مُقطعاً على الصحراء، وقد رُفعَ رأسُه على الرماح كريماً (عبداللهي، ١٣٨٨، ١٧).

إنَّ الشاعر السيد عبدالمطلب الحلي، رَثى الامام الحسين عليه السلام في قصائد عديدة، يذكر له صاحب كتاب أدب الطفّ قصيدة رائعة تُثير الهمّ والأشجان، قالها الشّاعر في رثاء أبي عبد الله الحسين عليه السلام ذاكراً ما حلَّ بآل الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، يوم واقعة الطف المؤلمة:

أيُّ يَـــــومٍ مَـــــلأَ الـــــدّنيا أســـــىً طَبَّـــقَ الكَـــونَ عَجيجـــا وصِـــياحا

يَـــــومَ أضـــــحى حَـــــرَمُ اللهِ بِـــــهِ لِلمَغـــاويرِ عَلَـــى الطَّـــفِّ مُباحـــا

أُبـــــرِزَت مِنـــــهُ بَنـــــاتُ المُصـــــطَفى حـــــائِراتٍ يَتَقارَضـــــنَ المَناحـــــا

(شبر، ١٤٠٩: ٨، ٣٣١).

نرى الشاعر استخدم بعض المفردات و التراكيب لبيان فضائل أهل البيت عليهم السلام و ذلك في «حرم الله» و يقصد به حرائر أهل البيت في واقعة كربلاء وكذلك عبارة «بنات المصطفى» و يقصد بذلك أهل بيت النبوة في واقعة الطف. فيُنوّه الشاعرُ إلى ما حَدَثَ في واقعة الطفَّ يرسمُ لنا صورة مؤلمةً من الحادث يومَ واقعة كربلاء وهو اليوم الذي أضحت فيه حرم الحسين عليه السلام والأطفال الرضّع مباحاً للنهب والسَّلب والغاراتِ وذلك بعد مَقتل الإمام عليه السلام عند ذلك برزت بنات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، حائرات لا يملكن إلا البكاء والعويل.

نجد الشّاعر في مستهل قصيدته الرّثائية يستخدم الأسلوب الإنشائي من نوع الاستفهام، وغالبا يسعى الشّاعر من خلال ذلك أن يرافق المخاطب أو من يسمع كلامه مع نفسه للبكاء على شهيد الطف، فنراه في المقطع التالي يخاطب من يسير في ظلامات الليل وهو يطوي البطاح بناقةٍ سريعةِ الخُطَى، أن يُنيخَ راحلته ويخاطب الإمام ويخبره بما حدث وجرى لأهل بيته وعياله:

أيُّهَـــــا المُـــــدلِجُ في زَيَّافَـــــةٍ تَنشُـــــرُ الأَكـــــمَ كَمـــــا تَطـــــوِي البِطاحـــــا

فَـــــــإذا جِئـــــــتَ الغَـــــــرِيَّينِ أرِح فَلَقَـــــد نِلـــــتَ بِمَســـــراكَ النَّجاحـــــا

قُـــــل لَـــــهُ يا أسَـــــدَ اللهِ اســـــتَمِع نَفثَـــةً ضـــاقَ بِهَـــا الصّـــدرُ فَباحـــا

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢١٥)

ينادي الشاعر الشخص الذي يقصد المدينة على ناقة سريعة وقت الليل المظلم والمتبخترة في مشيها وهي تطوى االمرتفعات والبطاح لتصل إلى ذلک المكان، يطلب منه أن يستريح في جانب غدير ويطلب من أسد الله وهو الإمام علي عليه السلام أن يستمع إلى شكواه وما يضيق به الصدر. فيشيرُ الشّاعر إلى التّألمات الرّوحية والنفثات النفسية التّي تصيب الفرد عندما يتذكر مصائب الامام الحسين عليه السلام ويتابع الشّاعر الحديث عَمَّا حدَث في أرض كربلاء حيثُ القتال والعطش الشّديد للأطفال، ويُخبر المرتضى، الإمامَ عليّاً عليه السلام بما جَرَى وحلَّ بأهل بيته قائلاً:

كَـــم رَضـــيعٍ لَـــكَ بِالطَّـــفِّ قَضـــى عاطِشـــا يَقـــبِضُ بِالرّاحَـــةِ راحـــا

أرضَـــعَتهُ حُلُـــمُ النَّبـــلِ دَمـــاً مِـــن نَجيـــعِ الـــدّمِ لا الـــدّرِّ القَراحـــا

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢١٥)

فنرى الشاعر باستخدامه بعض الرموز التي تشير إلى واقعة كربلاء وهي الطف والرضيع، وأشار الشّاعر إلى ما حدث للأطفال الرّضع حيث أصابهم العطش وجفاف صدور الأمهات وكم من رضيع قتل بسنان الرّمح وارتضع دماً من تلك السّنان بدل اللبن من حلمة ثدي الأم. وفي هذا التّعبير الاستعاره التّبعية في عبارة «أرضعته حُلُمُ النبل»؛ لأن الطفل لا يرضع من أطراف السنان، والقرينة الصارفة هي «دماً» بل يرضع من ثدي أمِّه.

ويتابع الوصف المؤلم لوصف الإهانة التّي حلّت بالحرائر:

ولَكَـــم رَبَّـــةِ خِـــدرٍ مـــا رَأى شَخصَـــهَا الـــوَهمُ ولا بِالظَّـــنِّ لاحـــا

أصـــبَحَت رَبَّـــةَ كـــورٍ وبِهـــا تَرقُـــلُ العِـــيسُ غُـــدُوّا ورَواحـــا

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢١٥)

نرى الشاعر في الأبيات المذكورة يوظف أسلوب التقابل والثنائيات الضدية لبيان ما حل بحرم الإمام الحسين عليه السلام حيث كن ربات خدر عزيزات مكرمات قبل واقعة الطف وما أن انتهت المعركة صرن ربات كور النوق أسيرات على الهودج. فينوّه الشّاعر إلى المخدرات من نساء أهل البيت عليهم السلام في واقعة الطف. المخدرات اللواتي تربين في حماية وفي عزٍّ ودلال ولم يرهنَّ أحدٌ ولا الوهم والظن،هولاء المخدرات بعد العزّ والدّلال، أصبحنَ رهائنَ الأعداء، حيثُ وضعن على الهوادج وهن أسيرات ينتقلن من مكان إلى مكان في الليل والنهار بلا توقف. يوجد في الأبيات نوع من التّقابل حيث وصف النساء بداية بحالة العزّ والحجاب، ثم وصفهن بالأسر والتّنقل أسيرات على الكور.

سُـــلِبَت أبرادُهـــا فَالتّحَفَـــت بِوَقـــارٍ صـــانَهَا عَـــن أن تُباحـــا

وَاكتَسَـــت بُـــردا مِـــنَ الهَيبَـــةِ قَـــد رَدَّ عَنهـــا نَظَـــرَ العَـــينِ التّماحـــا

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢١٥)

يشير الشّاعر إلى ما حَدثَ لتلك الحرائر من أهل البيت عليهم السلام حيثُ وَقَعن بالأسر وسُلِب مُنهن حتى الغطاء، وقد تسترن بوقار الهيبة والإيمان وهذا الوقار كان لهنَّ ستراً من سرقات النظر.

لَـــو تَراهـــا يَـــومَ أضـــحَت بِالعَـــرا جَزَعـــا تَنـــدُبُ رَحـــلاً مُســـتَباحا

حَيـــثُ لا مِـــن هاشِـــمٍ ذو نَخـــوَةٍ دونَهـــا في كَـــربَلا يُـــدمي السّـــلاحا

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢١٦)

من هاشم يقصد به بني هاشم جد أهل البييت عليهم السلام

«والجَزَعُ نَقِيضُ الصّبْرِ. (ابن منظور، ١٤١٤: ٨، ٤٧). والنخوة: الغيرة. هنا يرسم لنا الشّاعر صورة مؤلمة لتلك السّبايا من النسوة حيث أصبحن دون ستر ولاحماية، ولو رأى الرّائيُ تلك المشاهد المؤلمة والرّحل المستباح، لندُبَ جزعاً.

يكثر الشّاعر من رثاء الإمام الحسين عليه السلام والرّثاء محبّب إلى النفس لما فيه من الصّدق والابتعاد عن الزّيف والكلفة والتّقليد الأعمى الذّي يطمس معالم الشّخصية ويحول بينها وبين التّحليق في أجواء التّفرد والتّميز فللشاعر السّيد عبدالمطلب، قصائد عديدة وطويلة في فنِّ الرّثاء وهذا الغرض الشّعري هو مزيج بالمواقف الدّينية.

الرموز الدينية في بيان بطولات سيد الشّهداء

للشاعر السّيد الحلي قصيدة رائعة في بيان بطولات وشهادة الإمام الحسين عليه السلام، فنراه في المقطع الأخير يطلب من محبِّ أهل البيت عليهم السلام أن يشاطره في أحزانه وتألماته ويساهمه في طموحاته بالابتعاد عن الذل والمهانة والانصياع للظلم:

قُـــمْ بِنـــا نُنْشـــدِ العِـــيسَ الطلاحـــا عَـــن بِـــلادِ الـــذّلّ نأياً وانتزاحـــا

(شبر، ٢٠٠١: ٨، ٣٣٠)

رمز الشاعر للعيس وهي الناقة العَيْسَاءُ، وهي إبل بيض يعتري بياضها ظلمة، (الراغب الأصفهاني، ١٤١٥، ٥٩٦) الطلاحة: الإعياء وبعير طليح، (الفراهيدي، ٣:١٤١٠، ١٦٩). النأي: البعد والانتزاح: من النزوح: الهجر والابتعاد. يطلب الشّاعر من المخاطب الافتراضي أن يقوم معه حتى يناشد الإبل المتعبة من السّفر والحاملة أسرى أهل البيت عليهم السلام أن تبتعد عن بلاد الذّلة والهوان.وهي كربلا التى استشهد وسلب ونهب فيها اهل البيت عليهم السلام وصارت رمزا لبلاد الذل والهوان.

إلى أن يتخلّص لموقف الإمام الحسين عليه السلام وبطولته فيقول:

بأبي الثّابـــــتِ في الحـــــربِ علـــــى قَـــدَمٍ مـــا هزَّهـــا الخـــوفُ براحـــا

(شبر، ٢٠٠١: ٨، ٣٣٠)

رمز الشاعر بعبارة الثابت في الحرب إلى الإمام الحسين عليه السلام وبـ «أبي»: كلمة تُقال للتفدية مثل فداك أبي. أو للتعجب وهي صيغة سماعية. وبرح الرّجل، يبرح براحا، إذا رام من موضعه.» (الفراهيدي، ٣:١٤١٠، ٢١٥). فنرى الشّاعر في مقام مدح الإمام الحسين عليه السلام وبيان بطولاته، يذكر ثبات الإمام في ساحة المعركة، حيث لا تهزّ له قدم ولا يتزعزع، فهو ثابت الجأش. ويتابع الشاعر وصف الإمام في بيان مناقبه والحلم الرزين الذي يمتلكه وكذلك دوره وثباته في المعارك:

كلمـــــا خَفَّـــــت بأطـــــوادِ الحِجـــــا، زاد حِلمـــاً خَـــفَّ بالطـــودِ ارتجاحـــا

مُســـــعرٌ إن تخبـــو نـــيرانُ الـــوَغى جـــرَّدَ العـــزمَ وأوراهـــا اقتـــداحا

(شبر، ٢٠٠١: ٨، ٣٣٠)

في كلمة أطواد إشارة إلى الثقل والرزانة والثبات والطود:هو الجبل الضّخم والعظيم. تخبو: من خبت: ضعفت و هفتت، وقد جاءت هذه المفردة في القرآن الكريم حيث يصف نار جهنمَ: (ومَأْواهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعيراً)، (الإسراء، ٩٧)، الوغى: ساحة المعركة. أوراها: أشعلها. في الأبيات المذكورة يشير الشّاعر إلى حلم الإمام عليه السلام ويصفه بالطود في حلمه ووقاره. وفي حالة الحرب، فإنه مسعّر نيران الوغى لا يتراخى ولا يتقاعس عنها. في الأبيات المذكورة نرى بعض التّراكيب الاستعارية نحو أطواد الحجا وخفَّ وتخبو من نوع الاستعارة المكنية والتّبعية.

لم يَـــزل يُرســـي بِـــهِ الحلـــمُ عَلـــى جمرَهـــا صـــبراً، وقـــد شـــبَّت رماحـــا

كلَّمـــا جَـــدَّت بِـــهِ الحـــربُ، رأى جَـــدَّها في مُلتقـــى المـــوتِ، مَزاحـــا

(شبر، ٢٠٠١: ٨، ٣٣٠)

يرسي: يثقل. جمر: مفردها جمرة: الجذوة من النار. شبت: الشّبُّ: ارْتِفاعُ كلِّ شيءٍ (ابن منظور، ١٤١٤: ١ ، ٤٨٠). وظف الشاعر في البيت الأخير أسلوب التقابل بين جدها و مزاحا ليبن عظمة الإمام وثباته ومثابرته في المعركة. يستمر الشّاعر في وصف حلم الإمام الحسين عليه السلام حيث يصفه بالاتزان والوقار، فهو صبور في اللقاء حتى وإن شبَّت ونبتت المعركة من الرّماح والقسيِّ وإن اشتد القتال، فهو يكون نزَّاعا وراغباً نحو الموت والتّضحية.

لم يَخُنـــــــه الصّـــــــبرُ والعـــــــزمُ إذا صـــــرَّت الحـــــربُ ادراعـــــاً واتشـــــاحا

رُبَّ شـــــــــــهباءَ رداحٍ، فلَّهـــــــــــا حِـــــينَ لاقَـــــت مِنـــــه شـــــهباءُ رداحـــــا

(شبر، ٢٠٠١: ٨، ٣٣٠)

يُشيد الشّاعرُ بصبر الإمام الحسين عليه السلام وقت اللقاء حين تشمر الحرب، ويُكشَفُ عن سَاقٍ، ويحصل الاصطدام، عندئذ تتلقى منه الكتائب العظيمة، التّشتت والانهزام. وادراعا: لبس لامة الحرب كالدّرع والخوذة. الاتّشاح: من الوشح هو الارتداء،تَوَشَّحَ الرّجلُ بثوبه وبسيفه» (ابن منظور، ١٤١٤: ٢، ٦٣٣). والشّهباء: الكتيبة، وكتيبة شهباء لما فيها من بياض السّلاح في خلال السّواد (الفراهيدي، ١٤١٠:٣، ٤٠٣). والرّدح: الثّقيلة العظيمة، واحدها رداح يعني الفتن (الطريحي، ١٤١٨: ٢ ،٣٥٢). رمز الشاعر بالشهباء إلى معسكر العدو وتجمع جيوشه الكثيرة حيث كان الإمام بهجومه على تلك الجيوش يفككها ويفرق جمعها.

كلَّمَـــا ضَـــاقَ بِـــهِ صَـــدرُ الفضـــا، صـــــدُرُه زادَ اتّســـــاعاً وانشـــــراحا

فَمَشـــــى قـــــدماً لهَـــــا في فِتيَـــــةٍ كأُسُـــــدِ الغـــــابِ، يَغشَـــــون الكفاحـــــا

(شبر، ٢٠٠١: ٨، ٣٣٠)

رمز الشاعر في البيت الأخير إلى شهامة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه بلفظة أُسُد الغاب، وفي هذا تشبيه من جهة الشجاعة. ويعني بصَدرُ الفضا: السّاحة. والفسحة. والمكافحة في الحرب: المضاربة تلقاء الوجوه (الفراهيدي، ١٤١٠: ٣، ٦٥). عندما تضيق فضا المعركة يزيد صدر الإمام انشراحا واتساعاً، فمشى نحو ساحة القتال وكان معه فتية من خيرة الرّجال كالأسود، مسارعين ومشتاقين نحو القتال.

٢ ـ ٢ ـ الرموز الدينية في وصف حرائر أهل البيت عليهم السلام

في القصيدة التّالية نرى الشّاعر يصف ما حلَّ بأهل بيت النبوة صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلم من مصائب وكوارث في واقعة الطف:

فكـــم ذات خِـــدرٍ مـــا رأى الـــوَهمُ شخصَـــها ولا زارهـــــا في إفكـــــه طيـــــفُ آثمِ

ثـــوت في خبـــاءِ ســـترها مـــن جلالـــة يَلـــطُ لمثـــوى السّـــر مـــن صـــدر كـــاتمِ

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٢٩)

رمز الشاعر بعبارة «ذات خدر« إلى حرائر أهل البيت ونساء أصحاب الحسين عليهم السلام. وهو يصف حالة حرائر أهل البيت بعد مقتل سيد الشّهداء حيث جلسن في المخيم دون أن يراهنَّ أحدٌ، وتلك الحرائر لم يكن يبرزن ولايظهَرن، وحتى الوَهمُ لم يرَ صُورَهَنَّ، ثوت تلك الحرائر في الخيام وتَستَّرنَ بما يملكن من الخباء، وهن يندُبنَ الشّهداء وسيدالشّهداء عليهم السلام.

خبـــاً لم يَـــزَل والطـــفُ حَشـــوٌ سِـــجَافُه أعـــزُّ رواقـــاً مِـــن عَـــرينِ الضّـــراغمِ

فأصـــبحَ يـــومَ الطـــفِّ نَهبـــاً تَعُـــدُّه بنوعبـــد شمـــس مِـــن صَـــفي المغـــانمِ

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٢٩)

رمز الشاعر إلى العزة والمنعة بعرين الضراغم وهي الأسود الكاسرة وحاول بذلک أن يوظف أسلوب المفاضلة بين خباء حرائر النبوة وسترها وبين عرين الأسود. فالشاعر في تتبعه لما حدث لحرائر بيت النبوة، وظف بعض الرموز التي فيها إشارات حول تستر تلک الحرائر، منها السّجف، وكل باب يستره ستران مشقوق بينهم، فكل شق سجف، وسمي خلف الباب سجفا (الفراهيدي، ١٤١٠: ٦، ٥٦). وكذلک استخدم عبارة «رواقاً» للمقابلة، ورَوْقُ البيتِ ورَوْقُ الخيل مُقدَّمُه، والجمع أَرْوِقة (ابن منظور، ١٤١٤: ١٠، ١٣١). فبذلک يُشيرُ الشّاعرُ إلى الواقعة المؤلمة الَّتي حَدثت يومَ الطف وهو مقتل الإمام وأصحابه حيث فرح في هذا اليوم بنو عبدالشّمس وفي هذه إشارة إلى أحفاد بني عبدالشمس وجيوشهم التي حاربت الإمام الحسين عليه السلام.

ويتابع الشاعر من خلال توظيف أسلوب التقابل، وصف تلک الحرائر اللاتي أصبحن أسيرات تقطع المسافات البعيدة فوق النوق والقلاص بعد العزة والمنعة:

وأضـــحَت بِهـــا مِـــن بَعـــد عِـــزٍّ ومنعـــةٍ تجـــوبُ الفـــلا أيـــدي القـــلاصِ الرّواســـمِ

أهـــلٌ، سُـــبيت في الفـــتح مـــنهم دعيـــةٌ، فتقـــتصُ مِـــن تلـــك الصّـــفايا الكـــرائمِ

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٢٩)

وفي كلمة «القلاصِ» وهي جمع القَلوص بالفتح، إشارة إلى الناقة الشّابة التي تكون بمنزلة الجارية من النساء حيث فيها النشاط والسرعة في السير (الطريحي، ١٤١٨: ٤، ١٨١). والرّواسِم يقصد بها النوق. وناقة رسوم ترسم رسما أي تؤثر في الأرض من شدة وطئها (الفراهيدي، ١٤١٠: ٧، ٢٥٢). والرّسُومُ: الذّي يبقى على السّير يوماً وليلة. يصف الشّاعر حالة السّبايا بعد المعركة، حيث وقعن سبايا أسيرات، تجوب الفلا فوق النوق المسرعة. حاول العدو بفعلته هذه أن يأثر من أهل البيت عليهم السلام وبما فقد يوم الفتح وأن يقتصَّ من تلك الصّفايا الحرائر. وفي عبارة يوم الفتح إشارةل للنصر الذي وعد اللهُ به رسولَه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وهو فتح مكة و إذلال قريش.

سَـــــبايا سَـــــرَت، لكـــــن علـــــى أيّ حالـــةٍ، كـــرائمُ ابنـــاءِ النـــبي الأكـــارمِ

علـــى حالـــةٍ لـــو يَنظـــر الشّـــرك حالَهـــا بَكـــى بـــدمٍ عـــن ذائـــبِ القلـــبِ ســـاجمِ

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٢٩)

من خلال وصفه لتلك الحرائر من أهل البيت يُشيرُ الشّاعر إلى حالة السّبايا من أهل البيت وهنّ كرائم بيت النبوة صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهي حالة حتى العدو يرق إليها ويبكى على حالتهُنَّ بدمٍ من قلب ذائب بدل الدّموع. والساجم من السّجم: سال. والانسجام: الانصباب، أسجمت السّماء: صبت (الطريحي، ١٤١٨: ٦، ٨٢).

بِغـــير قريـــعٍ مِـــن بـــني هاشـــم القـــرى يَقـــيهنَّ مِـــن قُـــروع القَنـــا والصّـــوارمِ

يَضـــــيقُ بجيَّـــــاش الـــــزّفيرِ صُـــــدورُها فتحـــــترق الصّـــــبرَ احـــــتراقَ العلاقـــــمِ

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٢٩)

بقيت حرائر أهل البيت بعد مقتل الإمام عليه السلام وأصحابه، دونَ محُامٍ ليحميهنَّ من هجوم الخيل والنبال والسّهام. وهذه الحالة مؤلمة، وفيها من الزّفير يضيق الصّدر من احتمالها، فيحترق الصّبر إثرها كما يحترق العلقم، وهي أشد مرارة. علاقم: من العلقم: شجر مُر، ويقال للحنظل: علقم، ولكل شجر مرٍّ (الطريحي، ١٤١٨: ٦، ١٢٤) وفي ذلک إشارة إلى مرارة المصاب وعظم الحادث.

يَمـــــرُّونَ فيهـــــا بالجســـــومِ عفـــــيرةً، تضـــــئُ كأمثـــــالِ النجـــــومِ العـــــواتمِ

تـــــدوسُ بَنـــــاتُ الأعـــــوَجي صُـــــدورَها، فمِـــــن ذاهـــــبٍ يَعـــــدو عليهـــــا وقـــــادمِ

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٢٩)

يرسم لنا الشاعر صورة مؤلمة من مشهد الشهداء حيث تعفرت جسومهم الطاهرة بالتراب، وقد أخذت الحرائر من أهل البيت عليهم السلام وهنَّ سبايا وقد مرَّ بها على أجساد القتلى المعفرة بالتّراب وهي تُضيء وتتلألأ كالنجوم وسط الظلام. وصدور هذه الأجساد تُداس بالخيل بين رائح وراجع. يشير الشّاعر إلى هذه الحادثة المؤلمة حين نادى اللعين: ألا من ينتدب للحسين عليه السلام فيوطئ الخيل صدره وظهره! فانتدب عشرة أفراس وداسوا بحوافر خيولهم صدر الحسين عليه السلام وظهره، ما حال بنات رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهنّ ينظرن إلى هذا المشهد. فقد رمز الشاعر إلى الخيل التي

هجمت على المخيم و داست جثث الشهداء بعبارة «بَناتُ الأعوَجي» وهي من الخيول المعرفة والمنسوبة إلى الفحل الأعوج. وهي خيول قوية في ساحات المعركة.

ثم يرسم لنا الشّاعر صورة من تلك الأشلاء المقطعة وهي أعضاء النبوة:

تَفصـــــلُ أعضـــــاءَ النبـــــوَّةِ عُنـــــوةً، فـــــلا اتصـــــلت أرســـــاغُها بالقـــــوائمِ

إذا طالعتهـــــا مِـــــن بَعيـــــدٍ، غـــــدا لهـــــا علـــــى شُـــــعَبِ الأكـــــوار نـــــوحُ الحمـــــائمِ

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٣٠)

يتابع الشاعر وصف تلك المشاهد من هجوم الخيل على الأجساد المطهرة حيث كانت تفصل بين الأعضاء عنوة، وفي عبارة «أعضاء النبوة » إشارة إلى جسد الإمام عليه السلام إثر هذا الحادث المؤلم لقد تفصلت أعضاء النبوة بالقهر فما اتصلت بعد هذا الحادث. ترى سبايا حرائر النبوة محمولة على رحل النوق والجمل وهي تنوح وتتضجر من الآلام. عندما تقطعت مفاصل الإمام الشّهيد في الحقيقة تقطّعت أعضاءُ النُّبوّةِ بهذا الأمر.

فلـــــو أنّ ميتـــــاً جـــــاز بالـــــدّموعِ غَســـــلُه، إذاً غســـــلتُهم بالـــــدّموعِ السّـــــواجمِ

يَـــــنحُن علـــــى حَـــــامِي الحقيقـــــةِ ان سَـــــطَت علـــــى عِـــــزّهِ إحـــــدى الخطـــــوبِ الهـــــواجمِ

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٣٠)

يرمز الشاعر بعبارة «حامي الحقيقية» إلى الإمام عليه السلام ويعبر الشّاعر عن حزنه الشّديد أمام هذه الفاجعة العظيمة ويقول: لوسمح لي غسل هذا الفقيد لغسلته بدموعي المنهالة. ثم ينوه إلى الحرائر النائحات لهذا الفقيد الشّهيد وهو حامي الحقيقة والمدافع عنها إذا تعرضت لخطر من قبل الملمّات والحوادث الخطيرة. تلك الحرائر ينحُنَ على المدافع عن الحقيقة والحامي عن حومته وقت تعرضها للأخطار.

وينـــــدُبنَ كشّـــــافَ الملمـــــاتِ إن دَهَـــــت عظـــــائمُ دَهـــــرٍ أردفَـــــت بعظـــــائمِ

ويبكـــــينَ بسّـــــامَ العَشـــــيات إن دَجَـــــت بهـــــم شـــــتوةٌ أو جـــــفَّ ضَـــــرعُ الغمـــــائمِ

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٣٠)

كذلک يرمز بعبارة «كشّاف الملمّات» إلى شخصية الإمام عليه السلام أي من يزيل الحوادث والمصائب والكوارث و«كشّافَ الملمات» تعبير كنائي يقصد من يفرج عن الكرب ويزيل المجاعة وقت القحط، وكذلک بسّام العشيات في حالة الشتاء حيث يحدث الجوع، والشّتاء: أحد فصول السنة (الفراهيدي، ١٤١٠: ٦، ٢٧٨) تلك الحرائر كنَّ يندبن من يزيل عنهنَّ كوارث الدّهر والمحن والمصائب العظام التّي طالما يأتي به الدّهر وكذلك يبكين من كان يبتسم وقت القحط والمحل وتحدث المجاعة،فهو الرّجل المعطاة ذلك الوقت.

في كلمات «كشّاف الملمّات» و«بسام العشيات» تُوجَدُ كناية عن موصوف حيثُ يقصد الشّاعرُ به المرثي،كذلك الاستعارة المكنية في قوله: «ضرع الغمائم» حيث جعل للغمام ضرعاً يحلب. والضّرع مخصوص اللبونات لا الجوامد.

فَيـــا لَـــكَ رِزءٌ لـــيسَ يُبلـــى جديـــدُه، إذا بُنيـــت أخـــرَى الليـــالي القـــوادمِ

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٣٠)

الرّزء: المصيبة والرّزِيئةُ: المُصِيبةُ، والجمع رَزايا (ابن منظور، ١٤١٤:١، ٨٥). يتبرم الشّاعر من هذا المصاب الجلل حيث لا ينفك عن فتكه ولا يبلى له جديد، فهو يتجدد كلما مضت الليالي.

لقد تحوّلَ الأسلوب في البيت الأخير من الجمل الخبرية إلى جمل طلبية تتمثل في النداء (يا) والشّرط «إذا». وهنا لا تغيب عن الشّاعر إنسانيته ولا ينفعل في خطابه مع هذا الرّزء الثّقيل. فنجد لَوماً وعتاباً، وتوبيخاً بتأدب؛ لأنه يهدفُ من ورائه إلى الوعظ وبيان النبل الإنسانية دائماً.

٢ ـ ٣ ـ الرمز الديني في استشعار ظهور الحجة

أشعار الشاعر المهدويّة مليئة بالأمل والرجاء، ويتحدّث الشاعر عن هذا الأمل وظهور الإمام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف هو الّذى يأتى ويملأ الأرض عدلا ويزيل الطغاة والخائنين الجاهلين. ولم يتحدث الشاعر عن علامات الظهور، بل أكّد على فكرة الأمل والرجاء والإجابة عن سؤال الشكّاكين فى طول عمره، حيث يقول الشاعر :

أبا صـــالحٍ عَطفـــاً، فَقَـــد شـــفَّنا الجـــوَى، ولُـــذنا بظـــلِّ الصّـــبرِ لـــو بقَـــى الصّـــبرُ
مـــتَى تكحـــلُ الابصـــارُ منـــا بنظـــرةٍ لِطلعتـــك الغـــرّا، فقـــد مَسَّـــنا الضّـــرُ
فَكَـــم لَـــكَ نُزجِـــي مِـــن مُحِبّيـــك لـــوعَ شِـــكايةِ مَـــن أضـــناهُ في حُبِّـــك الهجـــرُ

(الخاقاني، ١٩٩٥، ٣، ٢٢٠)

رمز الشاعر إلى الحجة القائم بأمر الله بكنية «أبا صالح»و المراد منها الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وفيما يروى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: ««إذا ضللتَ عن الطريق فنادِ: يا صالح ويا أبا صالح أرشدونا إلى الطّريق يرحمكم الله» (المجلسي، بحارالانوار، ج٥٣، ص٢٩٢) وفي البيت الثاني يرمز الشاعر بعبارة تكتحل العيون إلى النصر الذي يحقق للمستضعفين في الأرض بظهور الحجة عندئذ يعم الفرح و تقر العيون بطلعته الغراء.

يطلب من الإمام المنتظر أن يعطف على أمته وشيعته؛ لأنَّ آلام الأمة والمحن قد كثرت ولا ملجأ إلا الصّبر والاحتمال. متى تظهر أيها الإمام المنتظر حتى تكتحل بظهورك الشّافي عيون الأمة؛ لأنَ الضّر والبأساء قد أضر بالناس. فنحن نرسل الشّكوى والتّبرم من الوضع الرّاهن وقد طال علينا الهجر والفراغ فنأمل ونرجو الظهور.

٢ ـ ٤ ـ االرمز الديني في بيان مناقب الشّيخ ملا كاظم الخراساني[١]

نرى الشاعر عبد المطلب الحلي في رثائه للشيخ ملا كاظم الخراساني وبيان مناقبه حيث كان عالماً جليلاً ومسانداً لنهضة المشروطة في إيران، يوظف بعض الرموز والعبارات :

[١]ـ ولد الملا محمد كاظم الخراساني في عهد محمد شاه قاجار عام ١٢٥٥ هـ في مدينة مشهد المقدسة. والدهُ هو الملا حسين هراتي الذّي كان يعيش في مشهد في ذلك الوقت. قضى شطراً من حياته من السّابعة إلى الحادية عشرة في الاضطرابات وقتل ونهب أحد المتمردين في مدينة مشهد والمجاعة التي سببتها حربه وهروبه. بدأ تعليمه في سن المراهقة. ولأنه حمل أمتعته العلمية في تلك المدينة عام ١٢٧٧، لمواصلة تعليمه في مدينة النجف الأشرف، فهو فقيهِ اصولى ومرجع تقليد ، مؤلف الكتاب الشّهير كفاية الأصول كان من المساندين لنهضة المشروطة في إيران. كانت وفاته فيها الشّكوك. فدفن بجوار مولاه الإمام على (ع)، (مدرس، تبريزي، ١٣٧٣: ١، ٤١).

قضـــيتَ، فامَّـــا حُزنُنـــا فهـــو قَـــاطنٌ مُقـــيمٌ وأمـــا صَـــبرُنا فَهـــو ذاهـــبُ

وغِبـــتَ، فأمَّـــا الـــذّكرُ منـــك فحاضـــرٌ بِقلـــبي وَعَـــن عَيـــني عيانُـــك غائـــبُ

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢١٣)

يقصد الشاعر من كلمة قضيت: أي توفيت.والمراد من القاطن والمقيم يقصد بهما الحزن إثر وفاة الشيخ والذاهب يريد به الصبر اثر المصاب. فقد استعمل الشاعر هذه المشتقات لبيان ما حل بهم من مصاب وألم دائم، فيقول فأنت أيها الفقيد قد تركت الحياة وبقي إثر ذلك الحزن الدّائم لدينا ويكاد صبرنا يفرغ إثر ذلك الحزن والمأساة فإنت غبت عن الأنظار ولكن ذكرك دائم في القلب. نرى الشّاعر لبيان ما انتابه من الحزن لفقد الخراساني يستخدم الثّنائيات والتّقابل وذلك في مقيم وذاهب وحاضر وغائب باستعمال إما التّفصيلية. فهو دائم الذّكر للفقيد وإن كان عن عينه غائب. كذلك نلمس في البيتين أسلوب مخاطبة المرثي والذّي يتكثف عبر وسائل متعددة من أبرزها النداء والضّمير بنوعيه المتصل والمنفصل، حيث استخدم الشّاعر للمرثي ضمير المخاطب وكأنه لازال حيا باقيا تتأتى مخاطبته والتّحدث إليه:

ولم تَبـــــقَ لي إلا بقـــــايا حشاشـــــةٍ سَـــتهمي بباقيهـــا الـــدّموعُ السّـــواربُ

فـــدى لـــك مـــن بالشّـــر مَـــا انفـــك للهُـــدَى تَـــدبُّ لَـــهُ في كـــلِ يـــومٍ عَقـــاربُ

لَـــهُ باطـــنٌ بالحشـــر والنشـــر جاحـــدٌ وظـــاهرُه فيمـــا تـــرى العـــينُ راهـــبُ

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢١٣)

الحشاشة: روح القلب. والحشاشة: رمق بقية من حياة النفس» (الفراهيدي، ٣:١٤١٠، ١١). تهمي: تجري، و تصب. السّوارب: جمع سارية، مأخوذة من سرب الانحدار في المسير» (الرّاغب الإصفهاني، ١٤١٥، ٤٠٥). والماء يسرب أي يجري فهو سرب أي قاطر من خرز السّقاء» (الفراهيدي، ٧:١٤١٠، ٢٤٨). يصف الشّاعرُ نَفسَه وما انتابه من حزن اثر فقد الشّيخ الخراساني وأنه لم يبق في جسمه إلا الرّمق القليل ودموع تسكب دائمة. وافتدى للفقيد كل من مارس الشّر وعمل السّوء وهو مصدر الشّر. تدب عقاربه: تعبير كنائي وهو كنايه عن الموصوف، ويقصد بذلك من خطَّط ووفّر الشّر حتى أدّى بقتل الشّيخ الخراساني.

فقد استخدم له صيغة المتكلم وكأنه هو الرّاحل أو المرثي وكذلك الانتقال من الخطاب إلى التّكلم يحدث ذلك شيئا من التّبادل الدّلالي:

وافتـــكُ مَـــن يُخشَـــى علـــى الـــدّينِ مـــنهمُ اشـــيمٌ يـــداجِي بالتّقَـــى ويكـــاذبُ

إذا كشـــفُوا عَنـــهُ الغَطـــى، تَطلَّعَـــت إلـــى النـــاسِ مِـــن كشـــفِ الغطـــاءِ، مَثالـــبُ

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢١٣).

رمز الشاعر في البيت الثاني إلى سريرة الشخص المعاند بكلمة الغطي ويقصد بذلك ما كان مخفياً على الناس من ذلك الشخص المدعي المتستر بنفاقه ومراوغته. فنرى الشاعر من خلال الترميز ينوه إلى من ينكر فضل هذا الشيخ المجاهد، فهولاء المنكرون يخشى على الدين منهم حيث يداجون بالتقى و الكذب وإن كشف الغطاء عن منوياتهم لظهر زيف

اداعاءاتهم ولظهرت عيوبهم. فإن الذّي مارس العدواة للشيخ، لا شك أنه منافق جاحد للحقيقة وتعاليم الرّسالة وفي باطنه يكتم الشّر ولكن ظاهره يبدو راهب وصاحب ديانة. هولاء هم الذّين يخاف على الدّين من شرهم وفتكهم، يتسترون بالدّين وينفذون ما يضر بالدّين ورجاله. وإنَّ الذّي أضمر الشّر للشيخ في الحقيقة إنه متخفي بالتّمويه، ولو أزيل عنه الغطاء لأنكشفت حقيقته المنكوسة للناس ولظهرت عيوبه ونواقصه ولشملته الملامة والتّأنيب.

سَــرَى باسمــكَ النــاعِي، فكنــى مغالطــاً، وجــدَّ، فأمسَــى وهــو بالحلــمِ لاعِــبُ

نَعَــى فاصــمُ السَّــمع، ناعٍ إلــى الشّــجى دَعــا، فأجابتــهُ الــدّموعُ السَّــواكبُ

نَعَــى فأطــارَ القلــبَ عــن مُســتقرِهِ، ضَــحى مِنــهُ ناعٍ في فراقــك ناعِــبُ

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢١٣)

يرسم لنا الشاعر حال سماعه لوفاة الشيخ وكيف كان هذا الخبر يلعب بالحلم ويفصم السمع، فمن خلال توظيف بعض الرموز يشير إلى لحظة سماعه خبر ارتحال الشّيخ حيث كان الخبر ثقيلاً على السّمع وكان ذلك الخبر داعياً إلى الشّجي ومثيراً للحزن وعند سماع الخبر المؤلم، انسكبت الدّموع وطار القلب من مكانه حيث كان الناعي ينعب كغراب البين بهذا لخبر المفاجئ. والناعي اسم فاعل من نعي: نَعى ينعى نَعياً. وهو خبر الموت. والنعي أيضا: الرّجل الذّي ينعي» (الفراهيدي، ١٤١٠:٢، ٢٥٦). والفَصْم: الكسر من غير بينونة (ابن منظور، ١٤١٤:١٢، ٤٥٣). نجد التعبير المجازي على سبيل التشخيص والأنسنة فيه، فأجابته الدموع، وأطار القلب، كذلك التعبير الاستعاري في عبارة بالحلم لاعب. وهذه كلها إشارات ورموز للتعبير عن الحزن المؤلم والخبر المفاجئ الذّي يؤثر على عاطفة الفرد.

وَاسمَــعَ ســكانَ البســيطِ، فأصــبحَت تضــيقُ الفيــافي فِــيهِمُ والسّباســبُ

وقــال بَــني الــدّنيا: دهــتكُم مصــيبةٌ مــن الــدّهرِ، قــد هانَــت لــديها المصــائبُ

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢١٣)

يتابع الشاعر وصف المصيبة والنعي بها ،حيث عمت سكان الأرض وقد ضاق بها الواسع ووصف الناس بأنها مصيبة فاقت جميع المصائب. والقصد من سكان البسيط وبني الدنيا: الناس. والفيافي: المفازة التي لا ماء فيها، مع الاستواء والسّعة، وجمعها: الفيفاء: الصّحراء الملساء، (الفراهيدي، ١٤١٠: ٨، ٤٠٧) والسّبْسَبُ: المَفازَ، والسّبْسَبُ: الأَرضُ المُسْتَوِية البعيدة (ابن منظور، ١٤١٤: ١، ٤٥٩). يصف الشّاعر حالة وصول وانتشار خبر وفاة الشّيخ حيث ملأ الآفاق وضاقت به الأرجاء؛ لأنه أمرٌ فادح أصيب به المجتمع وكان خبرا ثقيلاً ومؤلماً وداهية من دواهي الدّهر.

ثم يستمر بوصف هذا المشهد المؤلم وقد وصفه بالنازلة الثقيلة التي لايطاق حملها:

وَنازلــةً لَــو حُمِّــلَ الــدَّهرُ عِبئَهــا شَــكى ثقلَهــا مِنــهُ سِــنَامٌ وغَــارِبُ

بِهــا عــادَ رُكــنُ الــدّينِ واهيــاً، فكُلَّمَــا تماسَــك منــه جَانِــبٌ، طــاحَ جَانَــبُ

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢١٣)

ينوّه الشّاعر إلى ثقل هذا المصاب الجلل بعبارات رمزية ذات دلالات مجازية واستعارية نحو: (حمِّلَ، شكى، واهياً، تماسك وطاح) ويصفه بالنازلة الثّقيلة لو حُمِّلت على الدّهر لكان ينوء من ثقلها، حيثُ أصبحَ ركنُ الدّين واهياً بهذه المصيبة

حيثُ تزعزعَ هذا الرّكن، والقصد من النازلة هي داهية والمصيبة. والعِبْءُ: الحِمْل والثّقلُ من أَي شيءٍ كان، والجمع الأَعْباء، وهي الأَحْمال والأَثْقال، (ابن منظور، ١٤١٤: ١، ١١٨). والسّنام: سَنامُ البعير والناقة: أَعلى ظهرها، والجمع أَسْنِمَة (ابن منظور، ١٤١٤: ١٢، ٣٠٦) وهذا تعبير مجازي من باب الأنسنة والتشخيص كذلك في فعل سقط تعبيرً استعاري وهو استعارة تبعية.

قَضَـــى كافِـــلُ الأيتـــامِ، واحـــرَّ قَلبَـــاهُ إذا ظَميـــتُ، والـــرّي في الـــتّرب ناضِـــبُ

ويا قمـــــرَ الخضـــــراءِ غُـــــروباً لِفـــــادِحٍ لَـــهُ قَمـــرُ الغَـــبراء في الـــتّرْبِ غَـــارِبُ

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢١٣)

لبيان عظمة الشيخ يوظف الشاعر من خلال التقابل والثنائيات الضدية بعض العبارات الرمزية الدالة على عظمة الفقيد وكرمه منها:كافل الأيتام، ظميت، الرّي، قمر الخضراء وقمر الغبراء وغارب، فيعرب عن أسفه لما حلَّ بالمجتمع وخاصة الأيتام إثر رحيل ذلك الشّيخ وهو ملا كاظم الخراساني ويتسائل على وجه التّجريد كيف به إذا ضمأ وصاحبه تحت التّراب موسّدُ وقد عبر بالرّي وهو ضد الضمأ. ثم يندبه بتفجع ويطلب من القمر أن يزول ويأفل، لفقدان ذلك الشّيخ؛ لأنَّ القمر وهو الفقيد صار رهين التّراب في القبر. فهنا نجد الشّاعر عند انطلاقه من تأبين المرثي وبيان منجزاته ومآثره إلى الندب وبيان هول الفاجعة وعظمة وقعها يخاطب الشّهب ويقول:

ويا شُـــــهبُ في بـــــردِ الظـــــلامِ، تَســـــتَّري خِفـــــاءً، وطيحِـــــي للثـــــرى يا كواكـــــبُ

بِمَـــن يهتـــدِي الهـــادِي؟ إذا ضَـــلَّ قَصـــدُهُ وذا بَـــدرُهُ، في مَغـــربِ اللحـــدِ غائـــبُ

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢١٣)

البدر: القمر التّام ويقصد به الفقيد تشبيها له بالبدر في الهداية. مغرب اللحد: يقصد في حفرة اللحد. يطلب الشّاعر من الشّهب أن تختفي وتتستر وأن تتهافت الكواكب إثر هذه الفاجعة وكذلك يتسائل على وجه الاستغراب ويقول: فكيف وبأيِّ شَيءٍ يهتدي الهادي إذا ضاعَ قصدُه، وقد غاب في اللحد البدرُ الذّي كان يهتدي به؟!. إذن فكيف تحصل الهداية لمن أراد أن يصلَ إلى المقصودِ؟.

٢ـ٥. الرمز الديني في رثاء الشّيخ كاظم الخراساني

كان الشّاعر مُعجب بشخصية الشّيخ كاظم الخراساني لما رأى من مواقف حاسمة ومؤثرة من قبل الشّيخ أمام المحتلين في جنوب العراق وكذلك جيش الرّوس في شمال إيران ومساندته لنهضة المشروطة حيث كان مؤيداً ومسانداً لها. فنرى الشّاعر في القصيدة التّالية يشير إلى شهادة الشّيخ حيث شبههُ بمصاب العشرة من المحرم من جهة الفاجعة وفقد العزيز منوهاً إلى بعض مواقف هذا الشّيخ المجاهد:

لتبـــك بَنُـــو الـــدّنيا فَقِيـــداً مُصـــابُه يُـــذكِّرُها عَشـــرَ المُحـــرمِ هائِلُـــه

فيـــومُ حســـينٍ والمواضـــي تَنوشُـــه، ولا ظِـــلَّ إلا مَـــا تمـــدُّ قَســـاطِلُه

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٢٢)

في البيت الأول أشار الشاعر إلى العشرة الأولى من شهر محرم الحرام حيث وقعت فيه واقعة الطف وهي باقية في أذهان المسلمين حتى الآن ويطلب من بنو الدنيا وهي كناية عن موصوف ويقصد به الناس أن يبكوا على الفقيد؛ لأن مصابه يذكرهم

مصاب كربلاء رمز الفداء والشهادة. وفي البيت الثاني رمز بكلمة المواضي إلى السيوف البتارة والمؤثرة، ورمز إلى شدة القتال وإثارة غبار المعركة بكلمة القسطال، والقسطل بالسّين والصّاد: الغبار، (الطريحي، ١٤١٨: ٥، ٤٥٣). ينوّه الشّاعر إلى أهمية البكاء والرّثاء على الشّيخ الفقيد ويطلب من جميع الناس أن يبكوا عليه؛ لأنّ مصابَه يُذكّرهم بمصاب الإمام الحسين (عليه السلام) في العشرة الأولى من شهر محرم الحرام، حيث عرف بيوم الحسين عليه السلام ويرسم لنا صورة مفجعة من أبي الأحرار حيث تنوشه سيوف الأعداء وهو تحت غبار المعركة، تحت لهيب الشّمس، حيث لا ظل يظلله. فمن جملة التزام الشاعر الديني ما نراه يرثي رجال الدين الذين كانت لهم مواقف مشرفة ومعظمهم مراجع التقليد الذين جمعوا بين الاجتهاد في العلم والجهاد في سبيل مرضاة الله والذود عن حياض الشريعة والمسلمين.

**كيـــومِ حُســـينٍ والقضـــا مَرصـــدٌ لَـــهُ		وقـــد نَزَلَـــت فِيـــهِ عَشـــياً نَوازِلُـــه**

**مُســـجَّى تفديـــه العوائـــدُ بِالـــورَى		لـــو أنَّ فـــداءاً في الزّمـــانِ يُعادِلُـــه**

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٢٢)

مسجى من سجي: سكن سجى. قال تعالى: «واللَّيْلِ إِذا سَجى» (الضّحى، ٢)، أي: سكن، وهذا إشارة إلى ما قيل: هدأت الأرجل، وسَجَى البحر سَجْواً: سكنت أمواجه، ومنه استعير: تَسْجِيَةُ الميّت، أي: تغطيته بالثّوب (الرّاغب الاصفهاني، ١٤١٥، ٣٩٩). يشير الشّاعر إلى ذلك اليوم المفجع ويضاهيه بيوم الحسين عليه السلام في العاشر من محرم حيث كان يرصده القضا والقدر وقد نزلت في ذلك الوقت النوازل المؤلمة والإمام مسجى ومطروح على الأرض وتفتديه العوائد بجميع الناس، حيثُ لا شيءَ يُعادلُه في الفداء، كذلك جرى هذا الحادث المؤلم للفقيد المقتول.

**تَقلَّـــبَ مِنـــهُ في الفَـــراشِ، ابـــن عِصـــمةٍ		تَـــزرُّ علـــى جِســـمِ النَّـــبي غَلائِلُـــه**

**علـــى حـــينَ لا باك لَـــهُ: غَـــيرُ مجـــدِهِ،		ولا تأكـــلُ إلا اليتـــامَى فَضـــائِلُه**

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٢٢)

من خلال البيتين ربط الشاعر بين صفات الشيخ الفقيد في المجال الروحي والجهادي وبين مناقب الرسول الأكرم من خلال الترميز بعبارات: ابن عصمة ويقصد بها العظمة والطهارة، والغلائل وجسم النبي واليتامى والفضائل. والغلائل: مفردها الغليلة وهي الدّروع أو مساميرها التي تجمع بين رؤوس الحِلَق، كذلك ما يشدُّ ويزرُّ في القميص. والفضائل: النعم والعطا. تقلَّب على ذلك الفراش وهو فراش الموت، صاحب العصمة والدّيانة المتأسي بديانة الرّسول الأكرم صلى اله عليه وعلى آله وسلم ولبس اللأمة وهي الدّرع، فلا يوجد باك على ذلك الفقيد المقتول إلا المجد الذّي صنعه وما كانت تأكلُ من فَضله إلاّ اليتامى.

**أصـــات بِـــهِ النـــاعي، فقلـــتُ ابـــنُ جنـــةٍ		يقـــولُ فمـــا يَـــدري الـــذي هـــو قائِلُـــه**

**وجَـــدَّ، فقلنـــا لاعِـــبٌ قـــد أتَـــى بِهـــا،		أكاذيـــبُ قـــولٍ يُشـــبه الحـــقَّ باطِلُـــه**

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٢٢)

من خلال بيان شدة المصاب على الأذان والأذهان يرمز الشاعر بعبارة: الناعي، وابن جنة، ولاعب. والناعي: الذّي يأتي بخبر القتل أو الوفاة. جدَّ: تابع واستمرَّ. يريد الشّاعر أن يقول ما كنت أصدق نبأ وفات الشّيخ وتمنيت أن يكون هذا الخبر كذباً

من قبل الأجنة وعندما جد بقوله قلنا لاعب قد تلاعب بالخبر الباطل الذّي يشبه الحق. فأشار الشاعر إلى ثقل هذا الخبر وعظم المصاب إلى الخبء المفاجيء الذي يأتي به الناعي أو يلقى من خلال الأجنة وتمنى أن لو كان هذا الخبر لا حقيقية له.

فقـــال: وصـــدرُ الأرضِ كـــادَ رَجيفُـــه يَشِـــيخُ بأرجـــاءِ الـــبلادِ، زلازِلُـــه

لَقـــد نَزلَـــت في نازِلِ المَجـــدِ بَغتـــةً نَـــوازلُ داءٍ، طـــاحَ مِـــنهنَّ كاهِلُـــه

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٢٢)

في عبارة صدر الأرض إشارة إلى سطح الأرض وطبقاتها وهو ما تمشي عليه الناس ويعني بذلك ما يهتز من الأرض إثر الزلزال ورجيفه: اهتزازه. بغتة: فجأة. نوازل: جمع نازلة. ويقصد من الكاهل: العاتق وهذا تعبير مجازي. يقول إنَّ الناعي قال الخبر وكاد صدر الأرض أن يكون رجيفه واهتزازها يشجّ أرجاء البلاد وتهتز الأرض إثر ذلك الحادث المؤلم. وي كأنه نزلت نازلة بغتة وأصابت المجد حتى سقط كاهل المجد من تلك النوازل.

فَلمَّـــا غواشـــي الظـــنِّ عَنـــهُ تكشَّـــفَت، ودلَّـــت علـــى صِـــدقِ المقـــالِ دلائِلُـــه

بِيـــومٍ بِـــهِ الأنفـــاسُ حَـــرَّى تَصَـــاعَدَت عـــن القَلـــبِ، يُـــذكيها جَـــوىً لا يُزايلُـــه

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٢٢)

غواشي جمع غاشية. ما تستّر وتغطّي. تكشّفت: أزيلت. المقال: الخبر. عندما انكشفت الحقيقة وأزيل ستار الظن وثبتت الأدلة من قوله، صعدت الزّفرات الحارة عن القلب وكانت تلك الزّفرات يزكيها ألمٌ ملازم له من الدّاخل.

بِهـــا عـــادَ شـــاتي ذالـــك اليـــومِ قانصـــاً، تَجـــرُّ أســـاً أســـحَارُه وأصـــائِلُه

تَغَشَّـــت مُحيّـــا الـــدّهرِ ســـوداءَ، نُكـــرت بِفـــادِحِ خَطـــبٍ، روَّعَ النـــاسَ نازِلُـــه

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٢٢)

الشّاة: الحيوان المعروف. القانص: الصّائد. أسحار من السّحر وقت السّحر والأصائل: وقت العصر. تغشَّت: غطَّت. محيا: الوجه.روَّع: خوّفَ.أي: في كل وقت، ليلاً ونهاراً رجع ذلك الشّاة قانصاً والدّهر أسود وجهه إثرَ هذا الحادث المؤلم.

لَمـــوتُ فَتَـــىً مـــا أمَّلـــت الجـــودَ كفُـــهُ، علـــى أنَّـــه قـــد مَـــلَّ جَـــدواهُ آمِلُـــه

وســـارَ علـــى الأعنـــاقِ رأسُ ســـريرِهِ، يَنـــوءُ بأثقـــالِ الإمامَـــةِ حامِلُـــه

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٢٣)

أشار الشّاعر إلى مناقب الشّيخ وقد وصفه بالجود والكرم والعطاء المستمر والمتدفق للمحتاجين والآملين طول حياته ولم تمل كفه يوماً من العطاء بل ملَّ من جوده الأملون، وقد شُيع سرير ذلك الفقيد على الأعناق وهو ثقيل بثقل الأمامة. فقد رمز الشاعر في البيت الأخير إلى قضية الإمامة وهي الإمامة الدينية وقد أضاف إليها لفظ الأثقال لبيان عظمها وقدرها.

سَـــرَى نَعشُـــه والمُعصِـــراتُ ضُـــروعُها تَفـــيضُ لمـــا فَاضَـــت سَماحَـــاً أنامِلُـــه

بَكَتــــهُ وفَحـــلُ الرَّعـــدِ يَنـــدُبُ شَـــجوَهُ لنازلـــةٍ مِـــن ثِقلِهـــا عَـــجَّ نازِلُـــه

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٢٣)

فقد قارن الشاعر في الأبيات المذكورة بين ضروع المعصرات وهي السحب الممطرة و بين أنامل الشيخ الفقييد من جهة العطاء والبذل والسماح وأن هذه السحب كانت تبكي على الشيخ وفحل الرعد من أجل هذا المصاب الجلل يندب بشجوه عليه. ونرى الشاعر لبيان هذا المصاب يرسم لنا صورة من بكاء السحب الممطرة على الفقيد وقد وظف بعض العبارات الرمزية منها المعصرات والضروع والأنامل وفحل الرعد لبيان التناسب ومراعاة النظير. فقد بكت السّحب على نعش ذلك المتوفى وفاضت عليه امتثالاً وتشبيهاً لفيض أنامله، والرّعد يندب عليه اثر تلك النازلة الثّقيلة. أيضا نجد العبارة القرآنية وهي «المعصرات» لبيان السحب الممطرة وذلک في قوله تبارک وتعالى: (وَ أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجَّاجاً)، (النبأ، ١٤) وقد سمّيت السحب معصرات؛ لأنّها تتراكم على بعضها فتسبب الأمطار، أم لأنّ نظاما طبيعيّا يسودها حين هطول المطر بسبب اعتصارها (كما قالوا) أم أنّ ذلك إشارة إلى حالة نزول الغيث الشبيهة بعصر الثياب؟ كلّ ذلك محتمل (مدرسي، ١٤١٩، ١٧ :٢٥٧).

يَمـــرُّونَ فِيـــهِ بالثّـــرَى وهـــو مُمحِـــلٌ، فيربـــعَ، حتَّـــى يكتَســـي العشـــبَ مَاحِلُـــه

كـــأنَّ زَوايا ذالـــك الـــنَّعشِ ظمنَـــت ســـحابَ نـــوالٍ، يُنبِـــتُ الخطـــبَ وَابِلُـــه

(الخاقاني، ١٩٩٥: ٣، ٢٢٣)

ولبيان بركة هذا الجثمان المشيع، يوظف الشاعر العبارات الرمزية الدالة على الخير والعطاء ومنها يربع ويكتسي وسحائب نوال والوابل وجميع هذه العبارات تدلُّ على العطاء والخير والبركة قبل وبعد الممات.

فيشير الشّاعر إلى الخير والفضل الذّي كان يمتلكه الشّيخ الفقيد ويرسم لنا صورة ذلك الخير والعطاء عندما شُيع جثمانه حيث كان يمر بالمكان الممحل فيتحول ذلك المكان إلى الخصب والاخضرار ويكتسيه العشب، وكأن زوايا ذلك النعش يخرج منها المطر الغزير ليروي تلك الأرض الماحلة.

الجدير بالذّكر أن علاقة الشّاعر بالشّيخ الخراساني وإجلاله لهذا الشّيخ المجاهد ومرجع التّقليد الشّيعي، تكمن في المواقف السّياسية والعسكرية والإنجازات التي أنجزها الشّيخ الخراساني، كذلك الوعي السّياسي والدّيني لدى الشّيخ وإسهامات هذا الشّيخ الجليل في طرد قوات بريطانيا والمحتلين من العراق وكذلك نهوضه أمام الرّوس المحتلين لشمال إيران وإسهاماته لنهضة المشروطة في إيران.

النتيجة

اتخذ الشاعر عبدالمطلب الحلي التعبيرَ الرمزي أداةً للإفصاح عن مشاعره، أو تجسيد أفكاره كذلک لتطوير الفكرة وتعميق الثقافة الدينية من خلال استدعاء الشخصيات الدينية.

ـ ظهر الرمز الديني لدى الشّاعر في أغراضه الشّعرية كالرّثاء والاستشهاد وبيان مكارم أهل البيت والأئمة الأطهار عليهم السلام وسماتهم الدينية والأخلاقية.

ـ ظهرت الرموز الدينية لدى الشّاعر من خلال توظيف قصائده لحب أهل البيت وعلى رأسهم الإمام الحسين عليهم السلام والإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف وكذلك ذكر الأماكن المقدسة وخاصة كربلاء والطف، والمناسبات المقدسة كعشرة مُحرَّم.

وظف الشاعر الشخصيات الدينية والأماكن المقدسة كرمز ليعبّر عن أفكاره النضالية ورؤيته الفنية بالنسبة للقضايا السياسية التى كانت تجتاح البلاد العربية والإسلامية.

أيضاً وظف الشاعر الرموز الدينية في قصائده من أجل إثراء النص وبيان قدرته الباهرة على الإيحاء والتأثير على المتلقي.

استطاع الشاعر أن يحعل من الشخصيات الدينية رموزاً للتحدي والنضال تستمد قدرتها الإيحائية من تجاوزها الواقع.

وظف الشاعر الرموز الدينية وخاصة أهل البيت عليهم السلام إما لتحفيز الهمم وإما لبيان الصبر والنضال، وإما لبيان الوضع الهش والموقف الهزيل للأمة الإسلامية و إما لبيان التمرد والرفض وعدم الخنوع.

في معتقد الشاعر أن أهل البيت عليهم السلام كانوا رمزاً للمظلومية الإنسانية كما كانوا عنواناً للمقاومة أمام جبابرة الزمان.

ـ كشفت هذه الدّراسة عن عمق ثقافة الشّاعر الإسلامية وفهمه لما يجري حوله وإحساسه بالدّور المناط باتجاه المجتمع.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن منظور، محمد بن مكرم، (١٤١٤)، **لسان العرب**، بيروت: دارصادر.

٢. الخاقاني، علي، (١٩٥٢)، **شعراء الحلّة**، النجف الأشرف،:دار البيان.

٣. الحمصي، ديك الجن، (١٩٩٤)، **الديوان**، تحقيق وشرح انطوان محسن قوّال، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٢.

٤. الرّاغب الأصفهاني، حسين بن محمد، (١٤١٢)، **المفردات في غريب القرآن**، دمشق ـ بيروت: دارالعلم الدّار الشّامية..

٥. شبر، جواد، (١٤٠٩)، **أدب الطفّ**، بيروت: دار المرتضى.

٦. الطريحي، فخر الدّين، (١٣٧٥)، **مجمع البحرين**، تهران: كتابفروشى مرتضوي.

٧. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (١٤١٠)، **كتاب العين**، قم: انتشارات هجرت.

٨. المجلسي، محمد باقر، (١٤٠٣)، **بحار الأنوار**، تهران: مؤسسةالوفاء.

٩. مدرس، ميرزا محمد علي، (١٣٧٣)، **ريحانة الأدب**، طهران: خيام.

١٠. مدرسي، محمد تقي، (١٤١٩) **من هدي القرآن**، طهران: دار محبي الحسين (ع).

١١. حسيني، سيد عباس، مرضيه آباد و امير مقدم متقى (١٤٠٠). «واكاوى جنبه هايى از شخصيت اخلاقى دعبل بر پايه اشعارش». مجله زبان و ادبيات عربى ، شماره ٤ ،صص ٤.Doi.org/10.22067/jallv1i1.13.i4.81277

١٢. عبداللهي، حسن، (١٣٨٨)، «ديك الجن شاعر مظلوم أهل البيت عليهم السلام»، مجله زبان وادبيات عربي شماره١، صص ١٠٩ـ ١١٤. Doi:10.22067/jall.v1i1.3012

References

The Holy Quran.
Ibn Manzur, M , Makram, (1993), *Lisan al-Arab*, Beirut: Dar Sader. [In Arabic]
Al-Khaqani, A, (1952), *The Poets of Hilla*, Al-Najaf Al-Ashraf:Dar Al-Bayan. [In Arabic]
Al-Homsi, D, J. (1994), *Al-Diwan*, edited and explained by Antoine Mohsen Qawwal, 2nd edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.[In Arabic]
Al-Raghib Al-Isfahani,H , M. (1991). *Vocabularies in the Strange Qur'an*, Damascus – Beirut: Dar Al-Ilm Al-Dar Al-Shamiya. [In Arabic]
Shubar, J (1988) *Adab Al-Taff*, Beirut: Dar Al-Murtada. [In Arabic]
Al-Tarihi, F, D. (1996), *Al-Bahrain Complex*, Tehran: Book by Faroushi Mortazavi. [In Arabic]
Al-Farahidi, ,Khalil , A. (1989), *The Book of Al-Ain*, Qom: Hajarat Publications.
Al-Majlisi, M, B. (1982). *Bihar Al-Anwar*, Tehran: Al-Wafa Foundation. [In Arabic]
Mudarres, M. M. A. (1953), *Rihaneh al-Adab*, Tehran: Khayyam. [In Persian]
Madarisi, M, T. (1998) *from the guidance of the Qur'an*, Tehran: Dar Mohibi al-Hussein. [In Persian]
Hosseini, S, A&Abad,M& Moghaddam Mottaghi ,A(2021). Analyzing some aspects of the moral character of Daabl based on his poems, *Journal of Arabic Language and Literature*,13(4).1-20. In Persian] Doi:10.22067/jallv1i1.13.i4.81277. [In Persian]
Abdullahi, H, (2009) Deek Al-Jinn, an Oppressed Poet of the People of the House peace be upon them, *Journal of Arabic Language and Literature,1(1)* . 109-114. [In Persian] doi:10.22067/jall.v1i1.3012.